قصر النور.

نادية كرومي.

2023

الإهداء.

إلي روح أستاذي الراحل "عويمير" رحمة لله عليه.

منذ زمن طويل كنت أرفع قلمي وأخط أفكاري، لم أكن أدري حينها إن كانت صحيحة أم كانت مجرد خربشات، لكن كل ما كنت أعرفه أنني كنت مستعدة تماما للدخول إلي ذلك العالم الغريب بالنسبة لي، حينها استجمعت

كل شيء كان ينتمي لي من جسد وفكر وورق وأقلام لأجعل كل شيء من الماضي يخلد في ذلك الورق الأبيض ، فبدأت في كتابة ما كان لدي من أفكار ، و شيئا فشيئا صارت كتاباتي تنمو بسرعة كلما قرأت شيء أو سمعته كتابا صوتيا، حتي صار يربطني بها رباط قوي جدا، وبعد سنوات أصبحت مدمنة علي ذلك، لعله كان السبيل الوحيد لي حينها كي أنسى ما آلمني من الحياة ، ذكرياتي الأليمة مع أبي القاسي الذي تخلى عني في ظروف غامضة

وذكرياتي مع حبيبي الذي اختفى هو الآخر لسبب لا يفهمه إلا من مر بتجربتي .

كانت الساعة الرابعة صباحا، حين فتحت عيناي علي آخر نداء لصلاة الفجر معلنا بدايتها.

، فكنت قد رأيت حينها أفكاري تتحرك في الحلم محاولة أن تري لي الطريق الذي سأمشي فيه، ففالحقيقة قبل ذهابي إلي السرير كنت تائهة تماما في التفكير، أبحث بيني وبين نفسي عن دليلي إلي هذا العالم الغريب الذي ساء ظني به قبل أن أراه لشدة نقد الكثير له.

لكنني رغم ذلك استجمعت كل أفكاري وهممت في الدخول ،وما إن وضعت

رجلاي في عتبة باب ذلك القصر، حتي بدا لي النور من ثقب صغير، واستجمعت أفكاري ثانية لأجل اكتشاف مكان خروجه، ثم بدأت أدخل خطوة خطوة إليه، وإذا بشيخ هرم يستقبلني، وكانت قد غطت وجنتيه ابتسامة عريضة ، كان يشبه جدي كثيرا في كل شيء، طيب القلب، لا يعجبه الكسول ويبادر بالحلول كلما اقترب منه الشخص المنزعج من الأمر.

وفي ذلك اليوم كنت أنا صوبه أحاول أن أخطف منه نظرة جميلة كي تسقيني من القوة ما يجعلني أخلد في ذلك المكان لفترة طويلة بسلام، وفي لحظة حديثنا تلك لاحظت علي وجهه علامات غريبة لم أكن لأراها علي وجه رجل آخر غيره، فجعلت أحدق به بدقة، وإذا بحروف عربية مرشومة علي جبينه، باللون الأسود، تقول "إن أردت النجاح فابذل قصارى جهدك" ، فاستغربت من الأمر ، وقلت في نفسي: ترى ما هو هذا الأمر الذي يريدني أن أنجح فيه، ولماذا

هو هنا بالضبط، في قصر كبير مرصع بالألماس وفي كل غرفة ثريا كبيرة تبرق من بعيد وتحيط به جاريات فاتنات الجمال.

هل هو ملك أم سلطان، أم روح طاهرة تسكن هذا المكان؟

ترى أين أنا؟

فكرت مليا في ذلك، وبينما أنا كذلك سمعت صوتا هرما يناديني مبتسما قائلا:

إسمعي يا بنيتي أنت لست إنسانة عادية مثلما تعتقدين، بل إنك أميرة في قصر النور، وقصر النور لا يأتيه الغرباء، وإذا حدث وأتى غريب وكان

جاهلا قد يدمر كل شيء، فاحذري أن تخالط هؤلاء، فالقصر يحتاجك يا ابنتي فحافظي عليه.

انهى ذلك العجوز حديثه، ولم أدرك ذلك حتي رأيت ثلوج من الفرح والسعادة تغمرني، لعلها طاقته الإيجابية التي كان ينشرها في ذلك المكان قد وصلت بالقرب مني، جلست في الزاوية و جعلت أفكر في ما قاله لي وأيقنت أخيرا أنه يجب أن أقرر حقا إن كنت سأبقي أم أذهب بعيدا عن هذا المكان، وسرعان ما حدث ذلك، التفت يمينا لأبحث عن ذلك العجوز الذي كان يعظني لكنني للأسف لم أجده، فلقد أيقظني صوت المنبه المبعوث من الهاتف ، فاستقيظت من مكاني بصعوبة كبيرة للأداء الوضوء لأجل الصلاة ،ووضعت طاس الماء بجانبي لكن ذهني كان شاردا

، فلقد كانت كلمات ذلك العجوز تعاد في أذني كلما وضعت يديا في وسط الطاس.

ترى هل كان ذلك حقيقيا أم مجرد حلم؟

وماذا كان يريد مني ذلك الشيخ الهرم؟

ترى ماذا كان يعني ذلك المكان الملئ بالألماس

والنور والثريا العملاقة؟

ترى لما كنت هناك؟

لما كان كل شيء ناصع البياض؟

لا أعلم حقا لما، وكلما ما أعرفه الآن هو أنني يجب أن أودي صلاتي في وقتها المحدد لأكون من التائبات والصالحات.

أسدلت سجادتي وهممت بالصلاة لكنني لم أخشع تماما مثل عادتي، فلقد كان صوت ذلك الشيخ الذي زارني في المنام قويا جدا، لا أعلم ما بي حقا، هل جننت أم أضعت ذاكرتي، أم أنني أصيبت بمرض الزهايمر لأنني بت أنسى عدد الركعات التي كنت أصليها في تلك اللحظة.

انتهيت من الصلاة وخطفتني ملامح ذلك العجوز وصفاته الخارقة للعادة مرة أخرى، وصفات ذلك المكان الذي لم أرى مثله في حياتي، جميل، وخيالي، يملؤه النور من كل الجهات، لا ترى فيه شيء غير تلك الجاريات الفاتنات المحجبات يبتسمن، كل ما حدقت في عيونهن ، يمشين في ذلك القصر في استحياء يملئنه بالجمال كلما مشين فيه.

مرت نصف ساعة وأنا جالسة علي سجادتي أحاول عيش تلك الدقائق الجميلة، التي جمعتني مع سكان قصر النور اللذين استقبلوني بصدر رحب، لم أرى كمثله شيء، فجعلت أبتسم في صمت، أحاول بين الحين والأخر البحث عن تلك الرموز التي رأيتها في منامي تلك .

ماذا يعني ذلك البساط الأبيض؟

ماذا يعني وجود الجاريات؟

وماذا يعني وجود ذلك العجوز الهرم الذي جعل ينصحني كل ما اقتربت منه؟

لماذا جاءت تلك الرؤية في ذلك الوقت بضبط؟

حاولت بكل طاقتي أن أشرح تلك الرموز لكنني لم أستطع ذلك، وفجأة جاءتني شهية غريبة في قراءة كتاب كنت قد اقتنيته من المكتبة للكاتب الشهير " ستندال" بعنوان"الأحمر والأسود"، الذي كان يروي فيه الكاتب قصة عشق حدثت بين قاصر وثلاثينيه في مدينة رائعة الجمال، أين استحظر الكاتب كل ما رأه من مناظر طبيعية في مدينته الفرنسية، ونقلها بأسلوبه الرائع، والذي أراه أنه سهلا ممتنع.

كانت المناظر الطبيعية والمواقف التي تحدث مع البطل والبطلة تخطفني كلما هممت بالقراءة خاصة وأنا التي درست اللغة الفرنسية بكل فضول وحب منذ صغري، ليس لأنها لغة جميلة بل لأن محيطي اعتادها فقط، ورغم وجودها بكثرة في حواراتنا اليومية إلا أنني استبدلتها باللغة العربية فيما بعد، وأصبحت من رسامة للمناظر الطبيعية لشاعرة تكتب الخاطرة، ثم روائية تكتب الرواية، وأصبحت أغوص بعمق في ذلك العالم الذي أخذ مني ما أخذ من الوقت و الجهد و المال، فلقد كنت أخبئه كل مرة أقبض فيها راتبي لكي أنشر كتابا لي، وأتسلق درجة من درجات ذلك السلم الذي كان يأتيني في الحلم في سنين مضت حين كنت أكتب في بادئ الأمر ،وحين كان الجميع يسخر مني قائلين لي: أنت تكتبين شعرا، هههه دعينا نرى ما تكتبين.

هيا متعي مسامعنا يا أيتها الشاعرة.

كنت أغضب كثيرا حين يفعلون ذلك بي لكن ذلك لم يمنعني أبدا علي العمل علي كتب أخرىٰ فيما بعد ، بيد أنني كنت حذرة جدا في فعل ذلك، وكلما فعلت ذلك فعلته بتفنن واحتراف، فلطالما كان ذلك حلمي الذي كبر معي ،لأنني كنت وحيدة، ليس لدي أصدقاءا، أذكر أنه كانت لدي صديقة حميمة، فحدثت مشكلة بيننا، و خاب ظني بها ، كنت أزورها في أيام الجامعة ،لأنني كنت بحاجة للدعم والسند، ولجرعات من الصبر والشجاعة كي أمضي قدما، لكنها لم تفعل ذلك ، وكانت لم تترك فرصة إلا ونعتني بالبشعة، وبالساذجة.

أعرف أنني لطالما كنت بشعة، ومهملة لا أضع مكياجا ولا أرتدي ملابسا راقية، لكنني كنت أدرس بجد وكد، كي أحصل علي علامات عالية في قسمي ،فلقد كنت فرنسية لدقائق بين أصدقائي وعربية لطيلة الساعات التي تبقت من يومي ، كيف أترك لغتي وهي التي جعلت مني امرأة؟

جعلت مني أنثى فاتنة الجمال يعجب بها كل من يراها.

اللغة بالنسبة لي هي ذلك اللباس العريق الذي تركه أجدادنا، وذلك الإرث الجميل الذي لازلت قلوبنا متعلقة به ،الذي لزال يأتينا كالوحي في أحلامنا وفي أوراقنا.

نعم كنت بشعة لكنني كنت منطقية جدا، و صادقة في مشاعري، وصريحة .

لم أخذ شي يوما شيء من أحد بالغصب، ولا كذبت لإجل قضاء مصالحي ،ولم تكن لتكدرني الهموم، كيف لا وأنا التي كنت أعيش مع أمي طوال الوقت،

تلك المرأة العاجزة التي تخلى عنها زوجها من أجل امرأة ثانية، وتركها مع ابنتها الوحيدة شروق، التي كان حلمها الوحيد أن تواصل دراستها وتحقق أحلامها وتدخل الفرحة في قلب أمها.

لاشك أن الجميع قد نام الآن بعد هطول تلك الكمية المعتبرة من الأمطار قبل قليل،

فلون الليل القاتم يعطيني الآن رغبة شديدة في جلب أوراقي وقلمي لأجل كتابة ما في ذاكرتي من أفكار لكن ينقصني القليل من القهوة مع القرنفل، تلك هي قهوتي المفضلة التي كلما ارتشفت رشفة منها أيقظت ذاكرتي فأرسلت إلي بالكثير من الأفكار، فأهم بترتيبها كلما وصلتني، وأترك البعض منها لأستخدامه لاحقا.

نعم الكتابة هي حلم طفولتي الذي اكتشفته في ظروف قاسية، حين كنت أعيش في عائلة فقيرة رفقة والدي اللذان لم يكونا زوجين عادين أبدأ ، وكانا كلما جلسا مع بعضهما البعض تشاجرا ونشبت بينهما صراعات ومشاحنات غير طبيعية.

أذكر حنيما كنت صغيرة جدا كنت أحاول بين الحين والآخر أن أفك شفرة تلك الألغاز التي كنت أراها في عالمي تارة، و تارة أخرى أرسم منظرا طبيعيا، وبين الحين والآخر يخذني التفكير فأكتب أبياتا أحيانا باللغة الفرنسية وأحيانا باللغة العربية، لكن ما جذبني أول مرة لأكتب عنه هو العالم الذي علمني الحروف، وهو العالم الذي لولاه لم أكن أنا الآن.

هي مدرستي، التي علمتني كيف أكتب وكيف أنسق بين عالمي الواقعي وعالمي الخيالي وكيف أجمع بين حياتي العادية القاسية تلك التي كنت أعيشها

وحياتي الأخرى التي كنت أعيشها رفقة أستاذي، الذي كان يدرسني اللغة العربية،

والذي أخذت منه الكثير، ليس فقط طريقة كتابة حروف بل أشياء كثيرة لعل أجملها وأفضلها هو كيف أحترم الآخرين ، وكيف أكون أنا

في وسط عالم عنيت فيه ما يكفي من التنمر والعنف ما يكيفيني

لأعيش حياة جد صعبة.

لعل تذكري لذلك قد هز كياني بعض الشي لكنني لم أشعر بالخجل من كوني كنت الباحثة الوحيدة في تلك الفترة عن عالم النور الحقيقي الذي، كنت أنتظره منذ زمن طويل جدا، في ظني أن كل من يدخله يصبح ملاكا طاهرا لا يلمسه أحد ولا يأذيه ، لأنه قد أصبح قوي كفاية لكي يتحدى من يواجهه من الجهلة والأعداء الذين لا يرغبون في دخوله له.

سألتني مرة فتاة عن حياتي: لماذا أنت غريبة جدا؟

لماذا تعيشين هكذا، منعزلة دائما؟

لماذا تغلقين هاتفك دائما، حين أبحث عنك لا أجدك؟

أخبريني هل هناك خطب ما؟

أذكر أنني ابتسمت حينها وأجبتها في استغراب: هل أبقي برفقتك طوال الوقت،

ألن يكون لي البعض من الوقت لكي أرتب أفكاري؟

هل لهذه الدرجة عالمنا ممل؟

لم أذكر في حياتي أنني تدخلت في حياة شخص من الأشخاص الذين كنت أعرفهم،

لكنني كنت أواجه الكثير من الأراء السلبية التي كان المراد منها تدميري فقط.

رغم ذلك إلا أنني منذ أن بدأت أكتب صار العالم الحقيقي بالنسبة لي تافها حقا،

وصارت الكتابة زجاجة خمر أهرب إليها لأشرب القليل منها لعلي أسكت قلبا قتله الألم، وأعالج جرحا أحدثه العالم أو بالأحرى ذلك الكم من البشر اللذين عرفتهم.

كعادتي أدخل إلي غرفتي لأتناول كتيبا عن علم نفس المرأة، لأجل كسر بعض الروتين ليس أكثر الذي عشش علي منذ جلوسي في غرفتي، وسرعان ما أمعنت النظر في تلك الصفحات رأيت صورة ذلك العجوز تحدق بي ثانية بنفس الطريقة التي رأيتها بها في المنام، ورغم محاولتي في نسيان الأمر إلا أنني رحت ثانية أفسر ما رأيت في المنام لعل ذلك هو سبيلي للوصول إلي شرح ما رأيت.

وجعلت أرى علي مواقع شهيرة متخصصة في تفسير الأحلام عن ما رأيته من رموز، ومن بينها رؤيتي لذلك البساط الأبيض والنور الساطع وأنا أدخل قصر النور، وبينما أنا أقلب بشغف وفضول كبير أرسل لي أحد المتابعين في صفحتي علي الفيسبوك طلب صداقة، فجعلت أحدق في منشوراته

وإذا بي أرى صورة لسيد جميل جدا يرتدي عباءة بيضاء ويضع علي رأسه عمامة بيضاء ذو لحية سوداء ،و عينين واسعتين، أعجبتني

صورته فقبلت طلبه، ثم عدت ثانية أقلب عن تفسير لتلك الرموز التي رأيتها في المنام، وسرعان ما بدأت في القراءة حتي رأيت رسالة تصلني تقول :

السلام عليكم ورحمة لله وبركاته.

سيدتي.

هل أستطيع أن أعرف من يحدثني؟

فأردفت قائلة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

أنا شروق من الجزائر.

فأردف قائلا: أهلا وسهلا بأهل الجزائر الطيبين.

أنا رامي من فلسطين، تشرفت بمعرفتك

أحب الجزائر كثيرا يا سيدتي.

ابتسمت وقلت له، فلسطين أول قبلة للمسلمين يا سيدي، وهي تسكن في قلب كل جزائري بشكل خاص وفي قلب كل عربي بشكل عام، حفظها الله من كل سوء.

لم أدقق في عباراته ورحت أقرأ ما وجدت من تفسيرات لتلك الرموز التي وجدتها، وإذا بي رامي يرسل لي برسالة ثانية يقول لي فيها:

هل أنت كاتبة أم شاعرة؟

أردفت قائلة: أنا أكتب في الكثير من الأنواع الأدبية، أحب التنوع في الكتابة ويجذبني ذلك، وأحب امتحان نفسي، ورؤية ما لدي من قدرات يا سيدي.

ابتسم رامي وأرسل لي بأتوكولون الإعجاب ثم أردف قائلا: هل أرسل لك شعرا أم خواطر كي تقرأي ؟

فلقد رأيت لك الكثير من المنشورات في صفحتك

أردفت قائلة: بودي ذلك، شكرا جزيلا.

لم يدقق رامي في عباراتي وأيقن أنني أبحث عن شيء ما لعله هو الذي يشتت تفكيري الآن.

فأردف يقول: هل يمكنني أن أسألك

عن شيء؟

قلت: نعم

أهناك خطب ما؟

أنت لا تجبين بسرعة علي أسئلتي؟

هل أستطيع مساعدتك؟

أردفت قائلة: نعم، هناك خطب ما.

فأردف متسائلا: ماذا هناك ؟ تحدث سأساعدك.

فأردفت قائلة: لقد رأيت منذ فترة رؤية غريبة.

فأردف يقول: حديثني عنها، هل كانت جميلة؟

أردفت قائلة: بل خيالية، لقد رأيت أنني في قصر النور، وقد كان مرصع بالألماس الأبيض الخالص وكانت فيه ثريات عملاقة، ورجل عجوز يلبس عباءة بيضاء وجاريات محجبات تلبسن الأبيض وتبتسمن في وجهي كلما رأيتهن.

لقد كان بساطا أبيضا كالثلج، كان النور يزداد سطوعا كلما اقتربت أكثر من ذلك العجوز.

أنهيت الحديث وأنا أفكر في الإيجابة بفضول كبير، ورحت تائهة في بحر التفكير وإذا برامي يرسل لي رسالة أخري يقول لي فيها:

إسمعي يا شروق، ذلك العجوز الذي رأيته هو حظك الذي يرافقك نحو تحقيق حلمك لذلك رأيته ينصحك ويعظك، وذلك البساط الذي كانت تمشي عليه الجاريات هو تلك الأوراق التي تعبثين بها كل يوم لتكتبين قصة أو رواية أو شعر أو مقال لأجل إيصال أفكارك، وحين رأيتهن محجبات ذلك يعني أنك تسعين لإيصال فكرة جيدة عن الكتابة، وتريدين أن توجهي وترشدي قراءك، و دخولك العالم أول مرة وترددك في الدخول له، هو خوفك من نشر كتبك، لأنه لم يكن لك ثقة كبيرة بنفسك، وبخصوص تلك الثريا العملاقة هي ذلك النجاح العظيم الذي ينتظرك، أما الألماس المرصع الذي كنت ترينه من بعيد

يلمع هو ذلك العلم الذي تبحثين عنه هنا وهناك وتجدين وتتعبين للحصول عليه لكي تكون كتبك في المستوى المطلوب ،أما بخصوص الحروف التي كانت مرشومة علي وجه العجوز ،ذلك هو مفتاحك للدخول إلي ذلك العالم وتحقيق الهدف المنشود، وأما بخصوص ما قاله لك عن قصر النور كان يعني به عالم العلم والمعرفة، وأما عندما قال لك لا يدخله الجهلة لأنهم قد يدمرون كل شيء فيه، أي أنه لا يدخله الجاهل بل يدخله طالب العلم فقط الذي يسعي للحصول علي المعرفة.

كم كان وقع ذلك التفسير جميلا علي قلبي، فلقد كنت أحلم بذلك منذ زمن بعيد جدا، كيف لا وأنا التي لم أقم بصداقة ولا علاقة مع أي رجل، لأن جل وقتي كان أي مخصصا للمطالعة ولتأليف كتب جديدة، فالكتاب كان أعز من الإنسان بالنسبة لي ،لأنه كان يأخذني إلي عالم آخر، قد يظن البعض أنني مهوسة بذلك لكنني أسعد شخص في الوجود كله لأنني لا أغيب أحدا ولا أعيبه، ولا يعنيني أمر أحد، ولا أعرف كيف أتحدث عن الأخرين، فأنا حاضرة جسديا في عالم الواقع وغائبة عنه روحيا، فروحي سكنت منذ زمن طويل جدا عالم النور، وخلدت فيه، وأصبحت خالدة هناك، أفاتترك السلام وأتي للشقاء؟

فالشقاء صفة من صفات البشر والسلام صفة من صفات الملائكة ، فحين تدخل روحي إلي ذلك العالم تصبح ملاكا طاهر، خالدا بسلام ينعم بالراحة والأمان لم أكن أعرف مذاق السلام إلا حينما بدأت أكتب، وحينما زارتني الكلمات أول مرة، فحينها فقط صرت أعرف جيدا مدى الفرق الذي بين العالمين الواقعي الذي أسكنه، والخيالي الذي تدخله روحي حين أمسك القلم.

فلطالما قرأت لكتاب كثر، وجعلت أشعر بما يشعرون لكن ما كنت أجهله أن عالم النور الذي نسكنه يختلف من أدمي إلي أخر، وهذا ما كنت أجهله ، قد يكون عالما مظلما يعشقه صاحبه الظلام فيكون فيه شيطانا بثوب أسود يخيف به كل من يراه ويبعث الخوف فيه أيضا، وقد يكون ملاك

طاهر بثوب أبيض، فيبعث في قلبي كل من يراه بالسلام والراحة والطمائنينة.

أليس هو نفس العالم الذي تدخله روحي، بلى؟.

لماذا يوجد فيه الملاك والشيطان؟

لماذا توجد فيه الظلمة والنور؟

لماذا يكون فيه البطل فيه تارة ملاكا طاهر وتارة أخرىٰ شيطانا ؟

لم أعلم حتي لما كنت أطرح تلك الأسئلة علي نفسي لكنني أيقنت أخيرا وبعد فترة طويلة من التعب والإرهاق أنني لست بحاجة لمعرفة ما يجري في داخلي، وإن الدخول لذلك العالم هو بحد ذاته حل لي كي أفهم ما يحدث.